الحياة والذرة

أو

الخلود الجديد

تجمت أبحاث الذرة للشاعر آفاقاً جديدة للتأمل . . . ترى هل يكون البعث بعد الموت بالفناء لذرات الاجسام صفة ثانية ؟ !

أنا حيٌّ في رحاب العيش أحيا بكياني
فإذا حان تمامي خالدٌ طيَّ الزمانِ

في نطاق القبر أحيا جيفةً . . لا من هوانِ
من سديد الجسد البالي مضى في سريانِ
وبخار النتن المكروه ثاوٍ في المكانِ
وحُطام الجثة الملقاة شوهاء المعاني
أبعث الدود وأغنوه دمائي وجناني
وهو ينمو مثلما يُنشيي جنيناً أبوانِ
إن للدود حياةً . . . إن للدود أماني !

فترة تمضي دهورٌ وشهورٌ وثوانِ
فإذا الكلُّ توارى وتلاشى بأوانِ
لا حياةٌ لا رفاتٌ لا دمٌ في شريانِ
قد تلاشت رمةٌ تفرى ودودٌ ثم جانِ
كل شيءٍ فيَّ أوصالٌ وقلبٌ وبدانِ
مسحت كفٌّ عليه بفناءٍ غير فانِ . . . !

لكنَّ انظر . . . بشعاع العلم فضّاح المعاني
ها هنا بضع ذرّاتٍ تصدّت للزمانِ
هائماتٍ في رحاب الكون ما بين الرّحانِ
تلكم الذرات أحياءٌ توارت عن عيانِ

بل هي الدرة أشواقٌ وأحداثٌ تُعاني
وهنا قلبٌ معنى أبداً في خفقان
تامهُ صبٌّ عميدٌ حوله في دوران
من لظى الوجد استطارت كهرباءً في الكيان
هي تَوّارُ شعاعٍ مستترٍ المنوان
كُتِمتْ نار جواه في فؤادٍ غير ونان
إنّ تقصّدْهُ بسهمٍ هبّ مستشرى الجنان
نافثاً هولاً رهيباً . يا طول البُرَكان !

صُدّعتْ أركانه ما بين لمعٍ ودوان
وقضى إلاّ شظايا لحطامٍ من دِنان
مَرَقتْ وسْط رحاب الكون رعناء العنان
تبتغي قلباً من الدرات دفّاق الحنان
لتعيد الحب عهداً ويجنّ العاشقان !

هذه تمّ حياتي أتراني جِدُّ فانٍ ؟ !
إنني أفنى فنـاء هو بعثٌ لي ثانٍ
ثم أقضي ثم أحيـا هائماً في ثوران
أترى هذا خلودي ؟ أم تُراه في الجنان ؟
وترى البعثُ التقاءٌ بين ذرات الكيان
مثلما آبٍ غريبٌ أو تلاقي النازحان ؟

***

إنْ يكُن هذا... أو استرجعتُ أكوابي وعاني
فأنا في ظـل هذا العيش أحيا بكياني
فإذا حان مماتي خالدٌ طيّ الزمان ...

القاهرة محمد فهمي